

## مقدمه‌ای بر تأثیر کلام امام علی علیه السلام در شعر عربی

اثر: دکتر باقر قربانی زرّین  
از: دانشگاه آزاد اسلامی

### چکیده

از آنجا که سخنان گهربار امام علی علیه السلام - که فروتر از سخن خالق و فراتر از سخن مخلوق است - سرچشمه فصاحت و بلاغت بوده است، بسیاری از ادیبان، کاتبان و شاعران در طول تاریخ سعی داشته‌اند که با حفظ این سخنان و به کار گرفتن آنها، ملکه بلاغت در نوشته‌ها و سروده‌هایشان پدیدار گردد و سخنانشان مقبول طبع همگان افتد و بزرگان همچون عبدالحمید کاتب، جاحظ بصری، عبدالرحیم بن زبانه، ابوهلال عسکری و ابن ابی الحدید و دیگران بر این گفته اتفاق نظر دارند.

از این رو در این مقاله برخی مواردی که شاعران بزرگ عرب، الفاظ یا معانی سخنان امام علی علیه السلام را در شعر خود به کار بسته‌اند تا حدّ امکان مشخص گشته است که البته مشتی است از خروار و عشری است از اعشار.

\*\*\*\*\*

بما أنّ الامام عليّاً عليه السلام كان بحراً لا يُتَزَف، و غمراً لا يُسَبَّر، يؤاتيه الكلام و يتابعه، و لا ي  
يطاق لسائته، و كلامه عليه السلام بين المنهج و سهل المخرج، مطرد السياق و القياس، «علي  
أمثله هذا كلّ قائلٍ خطيب، و بكلامه استعان كلّ واعظ بليغ، و مع ذلك فقد سبق و قصّروا، و قد  
تقدّم و تأخّروا؛ لأنّ كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحّة من العلم الالهي و فيه عبّقة<sup>(١)</sup> من  
الكلام النبويّ». (٢)

و نحن نعلم أنّ «نهج البلاغة» يُعتبر عند العلماء و المفكرين احدي الذخائر الاسلاميّة الكريمة،  
بعد كتاب الله تعالى و السنّة النبويّة، و من كنوز السلام النفيسة. فهو كتاب يتضمّن من عجائب  
البلاغة، و غرائب الفصاحة، و جواهر العربيّة، و ثواب الكلم الدينيّة و الدنيويّة ما لا يوجد  
مجتمعاً في كلام، و لا مجموع الأطراف في كتاب.

قال محمّد بن طلحة الشافعي (٦٥٢ ق) في «مطالب السؤل» في مناقب الامام عليّ  
عليه السلام: الفصاحة تُنسب اليه، و البلاغة تُنقل عنه، و البراعة تستفاد منه، و علم المعاني و البيان  
غريزة فيه. (٣) و قال سبط ابن الجوزي (٦٥٤ ق) في «تذكرة الخواص»: كان عليّ عليه السلام ينطق  
بكلامٍ قد حفّ بالعصمة، و يتكلّم بميزان الحكمة كلام ألقى الله عليه المهابة؛ فكلّ من طرّق  
سمّعه راعة فهابته، و قد جمع الله له بين الحلاوة و الملاحه و الطلاوة و الفصاحة ... أعجز  
الناطقين و حاز قصب السبق<sup>(٤)</sup> في السابقين، ألفاظ يشرق عليها نور النبوة و يحير الأفهام  
و الأبواب. (٥)

و من المجمع عليه أنّ كلام الامام عليّ عليه السلام ملء قلوب العلماء و الأدباء، و ملء  
أسماعهم و أبصارهم، استهوئهم روائعهم، و سحرّتهم أساليبه و ألوانه. فوصفوه بما يدلّ على بعد  
أثره فيهم و اعجابهم به.

قال الجاحظ البصريّ (٢٥٥ ق) في «البيان و التبيين» ما لفظه:

قال عليّ بن أبي طالب (ع): «قيمة كلّ امرئ ما يُحسن»<sup>(٦)</sup>. فلولم نقف من هذا الكتاب الآ  
على هذه الكلمة، لوجدناها كافيّة شافيةً و مُجزيةً؛ بل لوجدناها فاضلةً على الكفاية، و غير مقصّرة

عن الغاية. وأحسن الكلام ما كان قليله يُغنيك عن كثيره، و معناه في ظاهر لفظه. (٧) و قال ابن أبي الحديد (٦٥٦ق) في ديباجة شرحه على نهج البلاغة:

و أمّا الفصاحة فهو عليه السلام امام الفصحاء، و سيّد البلغاء، و في كلامه قيل: دون كلام الخالق، و فوق كلام المخلوقين ... و لما قال محقن بن أبي محقن لمعاوية:

جئتك من عند أعيان الناس، قال له: و يحك! كيف يكون أعيان الناس! فوالله ما سرّ الفصاحة لقريش غيره. (٨) و قال الشريف الرضيّ (٤٠٦ق) من خطب نهج البلاغة: إنّ في هذا الكلام الأدنى من مواقع الاحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان، و فيه زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان و لا يطلع فجّها انسان. (٩)

و قال أيضاً بعد الخطبة ٢١: أنّ هذا الكلام لو وُزن بعد كلام الله سبحانه و بعد كلام رسول الله صلى الله عليه و آله، بكلّ كلامٍ لمال به راجحاً، و برز عليه سابقاً. (١٠)

و لقد أجاد السيّد المرتضى علم الهدى فيما قال: (١١)

و كلامه لكلام أرباب الفصاحة فاضح	و كلامه لكلام أرباب الفصاحة فاضح
و غوامض التوحيد فيه جميعاً لك لائح	و غوامض التوحيد فيه جميعاً لك لائح
تخطى به هذى البرية صالح أو طالح	تخطى به هذى البرية صالح أو طالح
و قال آخر: (١٢)	

بجوهر آيات الكتاب المنزل	كتاب كأنّ الله رصع لفظه
فلا فرق إلاّ أنه غير منزل	حوى حكماً كالدرّ ينطق صادقاً

و من الواضح أنّ كلمات الامام عليه السلام كانت معروفة لدى العلماء و متداولة بين الأدباء و قديماً استعان به كبراء العربية لأدبهم و تفكيرهم، كعبدالله بن المقفع، و عبد الحميد الكاتب، و ابن نباتة و أضرابهم من الكتاب و البلغاء و الأدباء.

قال ابن واضح اليعقوبى (٢٩٢ق) في كتابه «مشاكلة الناس لزمانهم»: و حفظ الناس عنه الخطب، فانه خطب بأربعمئة خطبة، حفظت عنه، و هى التى تدور بين الناس، و يستعملونها فى خطبهم. (١٣)

و قال المسعودى (٣٤٦ق) فى «مروج الذهب»: و الذى حفظ الناس عنه من خطبه فى سائر

مقاماته أربعمائة خطبة و نيف و ثمانون خطبة يوردها على البديّة، و تداول الناس ذلك عنه قولاً و عملاً. (۱۴)

و قال الكليني (۳۲۸-۳۲۹ق) بعد نقل خطبة له عليه السلام في التوحيد ما لفظه: و هذه الخطبة من مشهورات خطبه عليه السلام، حتى لقد ابتدأها العامة (۱۵)، و هي كافية لمن طلب علم التوحيد اذا تدبرها و فهم ما فيها، فلوا جتمع السنة الجنّ و الانس ليس فيها لسان نبيّ على أن يُبينوا التوحيد بمثل ما أتى به - بأبي و أمي - ما قدروا عليه، ولولا ابانته عليه السلام ما علم الناس كيف يسلكون سبيل التوحيد. (۱۶)

و قال ابن دأب الليثي (۱۷) (۱۷۱ق) في عليّ عليه السلام: ثمّ البلاغة؛ ما ل الناس اليه حيث نزل من المنبر، فقالوا: ما سمعنا يا أمير المؤمنين أحداً قطّ أبلغ منك و لا أفصح، فتبسّم و قال: و ما يمنعني؟ و أنا مولد مكّي، و لم يزد هم على هاتين الكلمتين.

ثمّ الخطب؛ فهل سمع السامعون من الأوّلين و الآخرين بمثل خطبه و كلامه و زعم أهل الادواوين لولا كلام عليّ بن أبي طالب و خطبه و بلاغته في منطقته ما أحسن أحدٌ أن يكتب الي أمير جندو لا الي رعيّة و قال ابن أبي الحديد: و منه تعلّم الناس الخطابة و الكتابة؛ قال عبد الحميد بن يحيى: حفظت سبعين خطبةً من خطب الأصل، ففاضت ثمّ فاضت. و قال ابن نباتة: حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيد الانفاق الأ سعة و كثرةً، حفظت مائة فصلٍ من موعظ عليّ بن أبي طالب. (۱۹)

و قال ابن ميثم في مقدّمة شرحه على نهج البلاغة: و أمّا الفصحاء فمعلوم أنّ جميع من يُنسب الي الفصاحة بعده (عليّ عليه السلام) يملؤون أوعية أذهانهم من ألفاظه. و يضمّنونها كلامهم و خطبهم فتكون منها بمنزلة ورد العقود كابن نباتة و غيره، و الأمر في ذلك ظاهر. (۲۰)

و جاء أبو هلال العسكري (۳۹۵ق) ببعض الأخذ من كلام الامام عليّ عليه السلام و قال: سمع أبو تمام قول عليّ بن أبي طالب للأشعث بن قيس: أتك أن صبرت جرى عليك قضاء ... الي آخره (۲۱)، و ان صبرت صبر الأكارم، و الآ سلوت سلوّ البهائم، (۲۲) فحكاة حكايةً حسنةً في قوله:

و قال عليّ في التّعازي لأشعثٍ  
و خاف عليه بعض تلك المآثم  
أتصبر للبلوى عزاءً و حبسبةً  
فتؤ جرّام تسلو سلوّ البهائم (۲۳)

و قال أبو هلال أيضاً: و من حسن الاتّباع أيضاً قول ابراهيم بن العباس حيث كتب: اذا كان للمحسن من الثواب ما يُقنعه، و للمسيء من العقاب ما يُقمعه، ازداد المحسن في الاحسان رغبةً، و انقاد المسيء للحق رهبةً ... أخذه من قول عليّ بن أبي طالب، أخبرنا به أبو أحمد قال: أخبرنا أبو بكر الجوهري عن المنقري عن ابن جرير قال: قال عليّ بن أبي طالب: يجب على الوالي أن يتعهّد أمره و يتفقّد أعوانه، حتّى لا يخفى عليه احسان محسن و لا اساءة مسيء. ثم لا يترك واحداً منهما بغير جزاء، فان ترك ذلك تهاون المحسن، و اجترأ المسيء، و فسد الأمر، و ضاع العمل. (٢٤)

و قال أبو هلال أيضاً بعد نقل بيت ابن طباطبا: «فقيم كلّ الناس ما يحسنونه»: أخذ ابن طباطبا قول عليّ (ع) بلفظه و أخرجه بغيضاً متكلّفاً، و الجيد قول الآخر: «فقيمة كلّ امرئ علمه» فهذا و إن كان أخذه ببعض لفظه، فإنّ «كلاً» ف بيته أحسن موقعاً منه في بيت ابن طباطبا. (٢٥)

و قال صلاح الدين الصفدي في ترجمة أحوال محمّد بن عبد الملك بن عبد الحميد الشهير بالزاهد الفارقي (٥٤٦ق) ما لفظه: و كان دعا الخلق الى الله تعالى و كان يتكلّم على الناس كلّ جمعة بعد الصلاة بجامع القصر ... و كان يحفظ كتاب نهج البلاغة و يغيّر و كان الكبار يحضرون مجلسه و الأعيان و الفضلاء، و كان يكلم على لسان أهل الحقيقة بلسان عذب و كلام لطيف و عبارة رشقة و منطق بليغ فانتفع الناس به. (٢٦)

هذا بعض ما قاله العلماء و الأدباء حول تأثير كلام الامام عليّ عليه السلام في الأدب العربيّ و اللتفصيل موضع آخر ...

### الهوامش

- ١- عبقة: رائحة. قال منتجب الدين (من أعلام القرن السادس) في فهرسته، ص ١٧٦: الشيخ القاضي جمال الدين محمد بن الحسين قاضي قاشان فاضل فقيه، كان يكتب نهج البلاغة من حفظه، و له رسالة «العبقة» في شرح قول السيّد الرضويّ في خطبة النهج.
- ٢- نهج البلاغة، تصحيح الدكتور صبحي الصالح، ص ٣٤، من خطبة الشريف الرضويّ (ره).
- ٣- مطالب السؤول، الطبعة الحجرية - ايران، ١٢٨٧ق، ص ٤٧.

- ۴- أطلق علی کلّ مبرّز و مشمّر. (أقرب الموارد - قصب)
- ۵- تذكرة الخواصّ، طهران، ص ۱۱۹-۱۲۰.
- ۶- نهج البلاغة، الحكمة ۸۱.
- ۷- البيان و التبيين، تصحيح حسن اسندوبی. بيروت، ج ۱، ص ۱۰۶.
- ۸- شرح ابن أبي الحديد، تحقيق محمّد ابوالفضل ابراهيم، مصر، ج ۱، ص ۲۴-۲۵.
- ۹- نهج البلاغة، ص ۵۸.
- ۱۰- نفس المصدر، ص ۶۳.
- ۱۱- منهاج البراعة، للنحوی، تصحيح الميانجی، ط طهران، ج ۱، ص ۲۴۳.
- ۱۲- نفس المصدر، ج ۱، ص ۲۴۵.
- ۱۳- مصادر نهج البلاغة، لعبد الزهراء الخطيب، ط بيروت، ج ۱، ص ۵۰.
- ۱۴- مروج الذهب، للمسعودی، تصحيح محی الدین عبدالحمید، ط مصر، ج ۲، ص ۴۳۱.
- ۱۵- ابي اشتهرت بينهم فكأنها صارت مبتدلة.
- ۱۶- الكافي، لثقة الاسلام الكليني، تحقيق علي أكبر الغفاري، ط طهران، ج ۱، ص ۱۳۶.
- ۱۷- هو أبو الوليد عيسى بن يزيد، من أهل المدينة، وكان أكثر أهل عصره أدباً و علماً و معرفةً بأخبار الناس و أيامهم و كان خطيباً شاعراً، توفي سنة ۱۷۱ ق. (الأعلام ۱۱۱/۵؛ الكنى و الألقاب ۲۸۱/۱).
- ۱۸- الاختصاص، للشيخ المفيد، تصحيح علي أكبر الغفاري، ط قم، ص ۱۴۸.
- ۱۹- شرح ابن أبي الحديد ۲۴/۱.
- ۲۰- شرح ابن ميثم، ط طهران، ج ۱، ص ۷۸.
- ۲۱- نهج البلاغة، الحكمة ۲۹۱.
- ۲۲- نفس المصدر، الحكمة ۴۱۴.
- ۲۳- كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص ۲۳۲؛ ديوان أبي تمام، ص ۳۰۰.
- ۲۴- كتاب الصناعتين، ص ۲۳۵.
- ۲۵- نفس المصدر، ص ۲۵۲-۲۵۳.
- ۲۶- الوافي بالوفيات، للصفدي، ط بيروت، ج ۴، ص ۴۴.